– من مباحث علم الأصوات الوظيفي عند " ابن جنّي "(320 هـ– 392هـ) – (المماثلة والمخالفة، والنّبر والتّنغيم)

-The outline of the article From the investigation of functional - phonology at "Ibn jenny "(320 e-392 e) (similar and infractionand tone and toning)

نسيمـة لـوح

جامعة لونيسي علي البليدة-2-، nassimalouh@gmail.com

تاريخ الارسال 2021/08/03	تاريخ القبول 2021/09/29	تاريخ النشر 2022/04/15

الملخص

لقد كان لعلماء العرب القدامى إسهامات جليلة في شتّى العلوم، ومن بين هؤلاء العلماء الّذين كان لهم أثر في الدّراسات اللّغوية " أبو الفتح عثمان ابن جنّي (320 هـ– 392هـ) " الذي يعدّ من أبرز علماء القرن الرّابع الهجري ومن الّذين وضعوا لبنات الدّرس الصّوتي العربي ،من خلال القضايا الصّوتيّة الهامّة الّتي عالجها في مصنّفاته، إذ أنّه أوّل من أطلق مصطلح (علم الأصوات) كما أنّه أوّل من ألّف كتابا يتعرّض لأصوات العربيّة وهو كتاب (سرّ صناعة الإعراب)، إذ كانت المباحث الصّوتيّة قبل ذلك مبثوثة في الكتب .

إنّ تحديد "ابن جني" للّغة أنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، هوتحديد شامل كامل للّغة، فقد أشار إلى طبيعتها الصّوتيّة حيث تمثّل

Abstract

The ancient scholars made a great contributions to various sciences ,among those who had an impact on language studios ,Abu Al fath "Ibn jenny" (320e-392e) he is considered one of the most prominent scholars of the fourth century hijri and from those who put the arabic audio lesson broadcasts,through important audio issues which he treated in his addition ,because he was the first to release the terme(acoustic) he is also the first to write a Book exposed arabic sounds (sir sinaate Al irab) before that,audio investigation were broadcasts in Books.

" Ibn jeny" dermined the language as voices by which all people express their puroses

الأصوات أصغر وحداتها، وأشار إلى طبيعتها الاجتماعيّة باعتبارها وسيلة للتّواصل، وكذا إلى اختلاف البنية اللّغويّة باختلاف المجتمعات البشريّة، وهذا ما نادى به كثير من علماء اللّسانيات المحدثين. وتهدف هذه الورقة البحثيّة إلى التّنقيب عن بعض القضايا المتعلّقة بالدّرس الصّوتي، وبخاصّة علم الأصوات الوظيفي عند "ابن جني"، من خلال تتبّع آرائه المتعلّقة ببعض الظّواهر الصّوتيّة كالمماثلة والمخالفة، والنّبر والتّنغيم، وسنقف على ما وظّفه "ابن جنّي" من مفاهيم ومصطلحات عصره، والّتي يمكن أن تتقاطع مع هذه المصطلحات الحديثة.		,comprehensive indentification of all on language ,he indicated her vocal nature where the sounds represent the smallest unit,and he pointed to its social nature considered it means of communication ,as well as to the difference in the linguistic structure in different human societies ,this is what Manu modern linguistic have call out. This research paper aims to exploration of some issues related to the vocal lesson ,and especially functional phonology at Ibn jeny ,through following some of his opinions related to some sound effects as similar and infraction,and tone and toning ,and WE will stand on what he employed "Ibn jeny" from concepts and terminology on his Time ,which Can intersect whith these modern termes.
كلمات مفتاحية: علم الأصوات الوظيفي – المماثلة – المخالفة – النّبر – التّنغيم – ابن جنّي.		**Keywords** :Functional Phonology-Similar-Infraction-Tone-Toning-Ibn jeny.

المؤلف المرسل: نسيمة لوح، **الإيميل**: nassimalouh@gmail.com

1.مقدمة:

لقد اهتمّ العرب بلغتهم فألّفوا فيها المصنّفات ،يدفعهم إلى ذلك المحافظة على القرآن الكريم من اللّحن الّذي بدأ في التّفشّي إثر توسّع الفتوحات الإسلاميّة، ودخول الأعاجم إلى الإسلام، واختلاطهم بالعرب، فأبدع علماء العربيّة في شتّى العلوم اللّغويّة ولعلّ من بين تلك العلوم (علم الأصوات) أو

(الصّوتيات)، الّذي جاءت بواكيره الأولى مختلطة بالدّراسات اللّغويّة والنّحويّة، فنجد في مقدّمة (معجم العين) ملاحظات عن أصوات العربيّة، كما تضمّن كتاب "سيبويه" مباحث مهمّة عن أصوات العربيّة خاصّة في باب الإدغام وباب الوقف، ولا يكاد يخلو بعد ذلك كتاب قديم من الكتب المؤلّفة في النّحو أو الصّرف من مباحث صوتيّة، إلاّ أنّ هذه المباحث عرفت تطوّرا ملحوظا في القرنين الرّابع والخامس للهجرة، لتصبح تلك المباحث علما مستقلاّ ،كما يبدو ذلك عند "ابن جنيّ" في كتابه (سرّ صناعة الإعراب)، ويظهر استقلال هذا العلم بصورة أكثر جلاء لدى علماء التّجويد، الّذين خصّصوا للمباحث الصّوتيّة المتعلّقة بقراءة القرآن كتبا مستقلّة عن كتب القراءات وأطلقوا عليها اسم (علم التّجويد).

ويعدّ "أبو الفتح عثمان بن جنيّ" أوّل من أفرد كتابا خاصّا بعلم الأصوات كما أسلفنا وهو (سرّ صناعة الإعراب)، كما أنّه أوّل من أطلق مصطلح (علم الأصوات) حين قال:« هذا القبيل من هذا العلم –أعني علم الأصوات والحروف– له تعلّق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنّغم»[1].

ونظرا لأهمّية الآراء والقضايا الّتي عالجها "ابن جنّي" في مؤلّفاته خاصّة في (الخصائص) و(سرّ صناعة الإعراب)، و(المحتسب)، و(المنصف)، فقد ارتأينا أن نتعرّض إلى بعض المباحث المتعلّقة بعلم الأصوات الوظيفي، واخترنا كلا من (المماثلة والمخالفة)، وكذلك (النّبر والتّنغيم)، وحاولنا التّنقيب عن ملامح هذه المباحث عند "ابن جنّي"، فهل اهتدى "ابن جنّي" إلى هذه المباحث في مؤلّفاته وكيف عالجها؟.

وقبل الخوض في هذه المباحث يجدر بنا التّعريف بعلم الأصوات الوظيفي، وهو: « العلم الّذي يبحث في وظائف أصوات اللّسان البشري من ناحية القوانين الّتي تعمل بموجبها، والدّور الّذي تقوم به في عمليّة التّواصل اللّساني ،فهو لا يهتمّ بالنّاحية النّطقيّة أو السّمعيّة للأصوات، بل يكرّس اهتمامه لدراسة الفروقات الصّوتيّة من حيث عملها في فهم الرّسالة اللّغويّة »[2].

وقد ورد في العربيّة بعدّة تسميات وترجمات، منها: الفنولوجيا، وعلم الأصوات التّنظيمي، وعلم وظائف الأصوات، وعلم الأصوات التّشكيلي، وعلم الأصوات الوظائفي، وعلم الأصوات التّركيبي [3]، ويطلق عليه "تمّام حسّان" كذلك: علم التّشكيل الصّوتي.

2.المماثلة والمخالفة:

تصيب التّغيّرات التّركيبيّة الأصوات بالنّظر إلى الصّلات الّتي تربط بعضها ببعض في الكلمة الواحدة، إذ بحكم التّجاور بين الصّوتين الصّامتين دون أن يفصل بينهما صوت صائت، أو توالي صوتان صائتان لا

يفصل بينهما سوى صوت صامت، فيحدث التأثّر فينتج عنه تطوّر في البنية التّركيبيّة للكلمة الّتي تعدّ المماثلة والمخالفة من أهمّ قوانينها[4].

1.2 المماثلة (Assimilation):

عرّفها "أحمد مختار عمر" بقوله: « المماثلة هي تلك التّعديلات التّكيّفيّة للصّوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى أو هي تحوّل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، إمّا تماثلا جزئيّا أو كلّيّا، »[5]، فأصوات اللّغة تختلف من حيث المخارج والصّفات، فتتأثّر ببعضها عند النّطق بها، فيؤدّي ذلك إلى التّقارب في المخرج والصّفة، فإذا اِلتقى صوتان أحدهما مجهور والثّاني مهموس مثلا يحاول كلّ منهما أن يؤثّر في الآخر، فيجذبه إليه ويجعله يتماثل معه في صفاته كلّها أو بعضها.

واعتنى علماء الأصوات بهذه الظّاهرة التّركيبيّة وميّزوا بين أنواع التّأثّر النّاتجة عن قانون المماثلة، فأفردوا لهذه الأنواع مصطلحات دقيقة كفيلة بتقديم التّفسير الكافي للتّمييز بينها، فإن أثّر الصّوت الأوّل في الثّاني فالتّأثّر مقبل أو تقدّمي، وإن حدث العكس أي تأثّر الصّوت الأوّل بالثّاني فالتأثّر مدبر أو رجعيّ، وإن حدثت مماثلة تامّة بين الصّوتين فالتّأثّر كلّي، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصّوت فالتّأثّر جزئي[6].

وتهدف المماثلة إلى خلق نوع من التّوازن والتّوافق والانسجام الصّوتي الّذي يُيسّر عمليّة النّطق، ويقتصد في الجهد العضلي الّذي يبذله الإنسان في النّطق [7].

وقد تناول علماؤنا القدامى هذه الظّاهرة في أبواب متفرّقة كالإبدال والإعلال، ونجد "سيبويه" قد عبّر عنها بالمضارعة والإدغام، أمّا "ابن جنّي" فقد عالج ظاهرة المماثلة في كتابه (الخصائص) في باب (الإدغام الأصغر)، وهو عنده:« تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك »[8]، وقد أوجد "ابن جني" للإدغام أضربا منها:

ـ في صيغة (افتعل): « إذا وقعت فاء افتعل صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء، فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو:اصطبر واضطرب واطّرد واضطلم، فهذا تقريب من غير إدغام، فأمّا (اطّرد) فمن ذا الباب أيضا ولكن إدغامه ورد هاهنا التقاطا لا قصدا »[9]، ونستنتج من هذا النّص أنّ صوت التّاء في هذه الصّيغة أو أحد مشتقّاتها يبدّل إذا جاور أحد أصوات الإطباق(ص، ض، ط، ظ)، فعند مجاورة التّاء لأحد هذه الأصوات الأربعة فإنّه يكتسب تفخيما ويبدل إلى صوت الطّاء وجوبا، وذلك لأنّ التّاء صوت مهموس مرقّق، أمّا أصوات الإطباق فهي أصوات مفخّمة مستعلية عند النّطق بها يرتفع اللّسان وينطبق على الحنك الأعلى،

والإطباق والتّفخيم صفتا قوّة تعمل على زيادة الوضوح السّمعي للأصوات الّتي تتميّز بها، لذلك فإنّ هذه الأصوات تؤثّر في التّاء فتكسبه تفخيما، لا سيما أنّ اللّسان بعد صعوده واستعلائه عند نطق أحد أصوات الإطباق، يتعذّر عليه النّزول مباشرة لنطق التّاء في صيغة افتعل فيلجأ إلى التّقريب والمماثلة بين الأصوات، وبما أنّ النّظير المفخّم للتّاء هو صوت الطّاء لأنّهما ينتميان إلى المخرج نفسه، وهو المخرج الأسناني اللّثوي ويشتركان في صفة الهمس والشّدّة، فإنّ التّاء تبدل طاء وجوبا فيقال اضطرّ واصطرخ واطّلع.

– الإمالة ويقول عنها "ابن جنّي": «إنّما وقعت في الكلام لتقريب الصّوت من الصّوت وذلك نحو عالم وكتاب، وسعى، وقضى، واستقضى، ألا تراك، قرّبت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللاّم منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء، وكذلك قضى وسعى نحوت بالألف نحو الياء الّتي انقلبت عنها وعليه بقية الباب » [10]، ويتبيّن من خلال قول"ابن جنّي" أنّ الإمالة ما هي إلاّ نوع من المماثلة، وقد عرض لها أمثلة، لكنّ هذه الأمثلة لا تمثّل جميع أنواع الإمالة، لأنّه يشير إلى أنّ ما ينطبق على هذه الأمثلة يمكن أن نقيس عليه أمثلة أخرى، وهذا ما يفسّره قوله: « وعليه بقيّة الباب »، وبالعودة إلى أمثلة النصّ فإنّ الألف ماثلت الكسرة فأميلت نحو الياء، كما أنّ الألف أميلت نحو الياء لتدلّ على أنّها منقلبة عنها.

– ومنها «إذا وقعت فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا فتقلب تاؤه دالا كقولهم ازدار ...وادّكر »[11]، ويفسّر ذلك مردفا« ...ولكنّ الزّاي لما كانت مجهورة وكانت التّاء مهموسة، وكانت الدّال أخت التّاء في المخرج، وأخت الزّاي في الجهر قرّبوا بعض الصّوت من بعض، فأبدلوا التّاء أشبه الحروف من موضعها بالزّاي، وهي الدّال فقالوا: ازدجر، وازدار...»[12] .

– ومنها إذا وقعت السّين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا وذلك كقولهم في سقت:صقت، وفي السّوق: الصّوق[13]، فالسّين المرقّقة في هذه الأمثلة قد ماثلت ما جاء بعدها من الأصوات (ع، خ، ق، ط) مماثلة جزئيّة، فأصبحت مفخّمة وذلك بأن تحوّلت إلى نظيرها المفخّم وهو صوت الصّاد.

– ومن ذلك أيضا « تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم في نحو مصدر:مزدر، والتّصدير:التّزدير » [14]، وذلك أنّ صوت الصّاد مهموس وساكن غير متبوع بحركة، وهو يجاور صوت الدّال المجهور، لذلك فالدّال يؤثّر في الصّاد فيكتسب بعض الجهر ويقترب نطقه من الزّاي، لأنّ الزّاي يشترك مع الصّاد في المخرج وفي صفات الصّفير والرّخاوة.

ومن خلال هذه الأمثلة الّتي يوردها "ابن جنّي" يتّضح أنّها تندرج في المماثلة الرّجعيّة حيث يؤثّر الصّوت اللاّحق في الصّوت السّابق، ورغم أنّه قد أورد أمثلة المماثلة في باب الإدغام لكنّه أدرك أنها ليست مثل الإدغام، إنّما فيها ما يشبهه من تقريب الصّوت من الصّوت.

2.2 المخالفة(Dissimilation):

وهي أن ينزع صوتان متماثلان أو متقاربان في بعض السّياقات الصّوتيّة إلى التّباعد والتّباين حتّى يسهل يسهل على اللّسان النّطق بهما [15]، وقد عرّفها بعضهم أيضا بأنّها : « اختلاف بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التّضعيف، وذلك بأن يتغيّر أحد الصّوتين المضاعفين إلى أحد أصوات المدّ، الألف أو الواو أو الياء، أو أحد الأصوات المتوسّطة أو المائعة، وهي اللاّم والرّاء والنّون والميم »[16]، والهدف منها تسهيل عمليّة النّطق واقتصاد الجهد العضلي المبذول عند النّطق بالصّوت المضاعف، بقلب أحد الصّوتين إلى صوت مدّ أو صوت من الأصوات المائعة، وقد جعلها علماء الأصوات المحدثون أقساما تتمثّل في: المخالفة المقبلة:وهي أن يؤثّر صوت في صوت لاحق فيجعله مختلفا عنه، والمخالفة المدبرة :وهي أن يؤثّر صوت في صوت سابق فيجعله مختلفا عنه، والمخالفة المتّصلة: وتحدث بين الصّوتين اللّذين ليس بينهما فاصل، وأخيرا المخالفة المنفصلة :وتحدث بين الصّوتين اللّذين بينهما فاصل[17].

وقد تفطّن القدماء لهذه الظّاهرة وأشاروا إليها فأطلقوا عليها عدّة مسمّيات، كقولهم: كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد أو توالي الأمثال مكروه أو استثقال اجتماع المثلين، وكراهة التّضعيف...إلخ[18].

وأمثلة المخالفة كثيرة عند القدماء لا يسمح المقام بذكرها كلّها، لذلك سأقتصر على نوع من المخالفة وهي المخالفة بالحذف.

إنّ المخالفة الصّوتيّة ما هي إلاّ نزوع للتّخلّص من أحد الصّوتين المتماثلين في كلمة ما أو في سياق صوتيّ ما، فيعمدون إلى الحذف، فالعرب تركوا تلك الكلمة الّتي حذف منها أحد المثلين دون أن يعوّضوا مكانه شيئا من الحروف وفي بعض الكلمات قاموا بالتّعويض[19].

أ. الحذف بلا تعويض: ومن أمثلتها حذف الهمزة، قال "ابن جنّي":«...وكما حذفت الهمزة من مضارع أكرم، إذا قلت أكرم، وأصله:أؤكرم، لاجتماع الهمزتين »[20]، والسّبب لحذفها استثقال اجتماع الهمزتين . فاستثقال العرب توالي الهمزتين دفعهم إلى المخالفة بينهما بحذف واحدة منهما دون تعويض، ومثالها

كذلك حذف التّاء، يقول"ابن جنّي":« إنّما تحذف التّاء إذا كان حرف المضارعة قبلها تاء، نحو (تفكّرون) و(تذكّرون)، والأصل: تتفكّرون وتتذكّرون، فيكره اجتماع المثلين الزّائدين فيحذف الثّاني طلبا للخفّة»[21].

وكذلك حذف النّون، حيث أشار "ابن جنّي" في غير موضع إلى أنّه إذا توالى نونان، فإنّ ثمة من يستثقلها، فيدفعه ذلك إلى المخالفة بينها عن طريق حذف أحدهما، ومن الأمثلة الّتي يعرضها حذف واحدة من النّونات في مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾[22]، فالأصل في لفظة (إنّا) في الآية الكريمة (إنّنا) حيث توالت فيها ثلاث نونات، فحذفت إحداهما تخفيفا [23].

ب . المخالفة بالحذف والتّعويض: وذلك عندما يستثقل العربي تتابع الأصوات المتماثلة، فيلجأ إلى حذف أحدهما والتّعويض عنه بصوت آخر، ويكون ذلك بـ:

ب .1/التّعويض بمطل حركة الصّامت السّابق:

ومنها حذف الهمزة، حيث أشار "ابن جنّي" إلى أنّه إذا التقت همزتان وكانت الثّانية ساكنة فإنّ هذه الأخيرة أي السّاكنة تبدل صوتا من جنس حركة ما قبلها، ويورد أمثلة مثل :إيمان وإيلاف وإيناس وأصلها: إئمان، وإئلاف، وإئناس، حيث قلبت الهمزة الثّانية السّاكنة إلى ياء لموافقة كسرة الهمزة الأولى [24]، كما أشار إلى أنّ الهمزة الثّانية تقلب ألفا إذا اِنفتحت الهمزة الّتي قبلها، ومن الأمثلة الّتي يوردها أأمن الّتي أصبحت آمن، وأأزر الّتي أصبحت آزر[25] .

ويفهم من كلام "ابن جنّي" أنّه إذا اِلتقت همزتان فإنّه يلجأ إلى المخالفة بينهما وذلك بإبدال الهمزة الثّانية صوتا من جنس حركة الصّوت الّذي قبلها.

ومنها كذلك اختزال الصّوت المشدّد:إذ أنّ هناك ألفاظ تتوالى فيها متماثلان، ممّا أدّى إلى المخالفة بينها عند من يستثقلها، يقول "ابن جني" في هذا الصّدد: « وقالوا:(ديباج) و(دبابيج)، فدلّ قولهم: (دبابيج) بالباء على أنّ أصله :(دبّاج) وأنّه إنّما أبدل الباء استثقالا لتضعيف الباء» [26].

ب .2 / التّعويض بصامت مختلف:

وذلك بحذف أحد الأمثال، حيث تلجأ العربيّة إلى المخالفة بين الأمثال وذلك بحذف أحد الأصوات المتماثلة والتّعويض عنه بصوت آخر، ومثاله عند "ابن جني" قوله : «فأمّا قولهم تَسَرَّيْتُ فيكون أيضا من باب إبدال الياء من الرّاء وأصلها تَسَرَّرْتُ »[27] ، ويقول في موضع آخر:« ومن ذلك قولهم تَظَنَّيْتُ، وإنّما هي تَفَعَّلْتُ من الظّنّ وأصلها: تَظَنَّنْتُ، فقُلِبت النّون الثّالثة ياء كراهية التّضعيف»[28].

وقد عرض "ابن جنّي " أمثلة كثيرة من هذا الضّرب، في باب (قلب اللّفظ إلى لفظ بالصّنعة والتّلطّف لا بالإقدام والتّعجرف)، في كتابه (الخصائص).

3.النّبـر والتّنغيـم:

1.3النّبــر(L' Accentuation):

يعرّف النّبر على أنّه من الفونيمات الّتي لها دور أساسيّ في مبنى الكلمات في اللّغة العربيّة وفي بعض اللّغات، ولها دور في معناها أيضا ويكون بتقوية صوت في كلمة معيّنة ليرتفع على غيره من أصوات الكلمة نفسها بأداة من أدوات الضّغط[29].

ويعرّف كذلك بأنّه « وضوح نسبيّ لصوت أو مقطع إذا قورن ببقيّة الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمّية والضّغط والتّنغيم...وربّما كان ذلك لأنّ النّبر يعرف بدرجة الضّغط على الصّوت أكثر ممّا يعرف بأيّ شيء آخر، أو لأنّ الضّغط في صورتيه: صورة القوّة وصورة النّغمة يتّسع مجال تطبيقه على النّبر أكثر ممّا يتّسع مجال العوامل الأخرى »[30].

ويكون النّبر نتيجة لمرور الهواء في الحنجرة محدثا اهتزازا في الوترين الصّوتيين يتّسم بالقوّة والارتفاع.

والنّبر هو نشاط ذاتيّ للمتكلّم ينتج عنه ظهور أحد الأصوات أو المقاطع على حساب ما يحاذيه[31]، ممّا يتطلّب جهدا أكبر من المتكلّم لما يلازمه من نشاط في أعضاء النّطق كلّها، فيخرج الصّوت المنبور مرتفعا واضحا في السّمع[32].

وعلى الرّغم من أنّ النّبر يعدّ من المصطلحات الحديثة، فإنّه قد وجدت بعض الإشارات الّتي بثّها علماء العربيّة القدامى في مصنّفاتهم، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الإشارات والأفكار الّتي تعدّ من صميم ظاهرة النّبر، نجدها فيم حملته المعاجم العربيّة القديمة في ثلاث موادّ لغويّة وهي: (همز) و(نبر) و(طرح)، الّتي تعني كلّها الضّغط والارتكاز [33]، بمعنى أنّ الصّوت المهموز أو المنبور أو المطرّح يتطلّب جهدا عضليّا لإنتاجه وإبرازه، فهو على حدّ تعبير "ابن سينا":« حفز قويّ من الحجاب وعضل الصّدر لهواء كثير »[34]، وإشارة "ابن سينا" هاهنا إلى الهمز الّذي تستخدمه العرب مكافئا دلاليّا للنّبر، فكلاهما يعني الضّغط والاِرتكاز[35].

وإذا عدنا إلى "ابن جنّي، فنجده يخصّص بابا في كتاب (الخصائص) سمّاه (باب في مطل الحركات)، يقول فيه:« وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة حرفا من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد

الكسرة الياء، وبعد الضمّة الواو »[36]، ثمّ يضرب لذلك أمثلة منها قوله: « والألف المنشأة عن اشباع الفتحة ما حكاه الفرّاء عنهم: أكلت لحما شاة: أراد لحم شاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا»[37]، وذكر أيضا أنّ « الحركات عند التّذكّر يمطلن حتّى يفين حروفا وذلك كقولهم: عند التّذكّر مع الفتحة قمتَ: قمتا، أي قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك ومع الكسرة أنتِ: أي أنتِ عاقلة، ونحو ذلك ومع الضّمّة قمتو: في قمتُ إلى زيد ونحو ذلك»[38].

فالمطل عند "ابن جنّي":هو زيادة قوّة الارتكاز بالإشباع أو التّضعيف، إذا ما علمنا أنّ الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة والواو ضعف الضّمّة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضّغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السّمع، لتحقيق غرض قصدي [39]، ويقول "ابن جنّي" في موضع آخر: « وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته وذلك أن تكون في مدح إنسان والثّناء عليه، فتقول: كان والله رجلا ! فتزيد من قوّة اللّفظ بـ(الله)، هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللاّم وإطالة الصّوت بها وعليها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا؟، وتمكّن الصّوت (إنسان) وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضّيق قلت: سألناه وكان إنسانا ! وتزوي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك »[40].

ويظهر معنى النّبر حين عيّن "ابن جنّي" اللاّم في كلمة (رجلا)، لتكون محلاّ للطّمطيط والإطالة ليدلّ على أنّ هذه القوّة والتّمكّن في النّطق لا تقع على جميع مقاطع الكلمة، وإنّما على جزء منها.

ونجد أنّ "ابن جنّي" قد تنبّه إلى العلاقة بين النّبر وطول المقطع حين قال: «وإطالة الصّوت »، فهو وإن لم يذكر باللّفظ إلاّ أنّ وصفه وشرحه أغنى عن التّصريح بالأوصاف[41].

2.3 التّنغيـم (Intonation):

يعرّف التّنغيم بأنّه «ارتفاع الصّوت وانخفاضه أثناء الكلام»[42].

فهو «نوع من موسيقى الكلام الّذي بواسطته يتسنّى للدّارس أن يعرف كثيرا من خصائص الكلام كالتّفريق بين الجمل المثبتة والاِستفهامية ولا سيما إذا لم توجد صيغ نحويّة خاصّة تقوم بهذا التّفريق، وأكثر ما يوجد في اللّهجات العامّية»[43]، في مثل قولنا: جاء أخوك، فإنّنا لا نستطيع معرفة نوع هذه الجملة إلاّ

من خلال نغمة الصّوت الّتي تختلف في نطقها للاِستفهام عنها في الإخبار، وكقولنا: لا يا شيخ، الّتي يمكن أن تدلّ على النّفي أو التّهكّم أو الاِستفهام، وغير ذلك من الدّلالات الّتي يحدّدها التّنغيم.

فللتّنغيم وظيفة نحويّة تتمثّل في التّمييز بين أنماط الجمل، والتّفريق بين أجناسه النّحويّة، ووظيفة دلالية سياقيّة، ووظيفة تعبيريّة[44].

وتجدر الإشارة إلى العلاقة الوطيدة بين النّبر والتّنغيم، وهذا ما يقرّره "تمّام حسّان" بقوله: « إنّ هبوط النّغمة أو صعودها أو تحوّلها عن المستوى السّابق في وسط الكلام أو في آخره، لا يكون إلاّ متّفقا مع النّبر، فلا تتحوّل النّغمة هذا التّحوّل إلاّ على مقطع منبور، وهذه الصّلة بين النّبر والتّنغيم لا يمكن انفكاكها، ولذلك يكثر أن يقف المرء عند أحد المعاني باحثا عمّا إذا كان هذا المعنى وظيفة النّبر بمفرده أو التّنغيم بمفرده، ثمّ لا يستطيع الجزم بأنّه وظيفة أحدهما على انفراد »[45].

ونجد "ابن جنّي" في النّصّ الموالي، الّذي يتحدّث فيه عن حذف الصّفة يشير إلى ما ذهب إليه "تمّام حسّان"، إذ يقول : « وقد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب :سِيرَ عليه ليْلٌ، وهم يريدون: ليل طويل، وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصّفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التّطويح والتّطريح والتّفخيم والتّعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك... »[*] [46].

وفي نصّ آخر في (باب في نقض الأوضاع إذا ضامّها طارئ عليها)، يقول: « ومن ذلك لفظ الاِستفهام إذا ضامّه معنى التّعجّب واِستحال خبرا وذلك قولك: مررت برجل أيُّ رجل. فأنت الآن مخبرا لتناهي الرّجل في الفضل ولست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيّما رجل، لأنّ ما زائدة، وإنّما كان كذلك لأنّ أصل الاِستفهام الخبر، والتّعجّب ضرب من الخبر، فكأنّ التّعجّب لما طرأ على الاِستفهام إنّما أعاده إلى أصله من الخبريّة. ومن ذلك لفظ الواجب إذا لحقه همزة التّقرير عاد نفيا وإذا لحقه لفظ النّفي عاد إيجابا وذلك قوله تعالى: ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ...﴾[47]، أي: ما قلت لهم، وقوله تعالى: ﴿ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ...﴾[48]، أي لم يأذن لكم، وأمّا دخولها على النّفي كقوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...﴾[49] أي: أنا كذلك»[50] .

يؤكّد هذا النّصّ وعي "ابن جنّي" بظاهرة التّنغيم في العربيّة ودورها في تحديد دلالات الكلام [51]، وما استخدامه لمصطلحات كالحذف والتّطويح والتّطريح والتّفخيم والتّعظيم في النّصّ السّابق إلاّ إيماءات واضحة يراد بها التّنغيم، فالحذف هي قرينة يتطلّبها أسلوب الكلام ومقامه، وهو ما يعرف بالسّياق، كما

أنّ التّطويح من طوّح الشّيء إذا مدّ صوته ورفعه [52]، وهذا ما يدلّ دلالة قاطعة على اختلاف درجات الصّوت الّتي تتحكّم في نغماته، وهو ما يسمّى بالتّنغيم، أمّا التّطريح:من طرح الشّيء إذا طوّله ورفعه وأعلاه، وما التّفخيم إلاّ ظاهرة صوتيّة –كذلك– تأتي من حركات في الجهاز الصّوتي، تغيّر من شكل الفراغات بالدّرجة الّتي تعطي للصّوت القيمة الصّوتيّة العالية[53].

كما نجده قد تحدّث عن وظيفة التّنغيم في التّركيب، والّتي تتمثّل في التّعبير عن دلالات مختلفة كالفرح والغضب والحزن والتّهكّم وغيرها، وهذا ما يدلّ على تفطّنه إلى ظاهرة التّنغيم.

ـ خاتمة:

من خلال هذه الدّراسة الّتي تتبّعت المماثلة والمخالفة والنّبر والتّنغيم عند "ابن جنّي"، خلصنا إلى النّتائج التّالية:

- ✓ لقد خاض "ابن جنّي" في العديد من القضايا الّتي تعدّ من صلب البحث في علم الأصوات الوظيفي، ولكنّه كما هو معلوم عند القدماء فإنّهم لم يستعملوا في دراساتهم هذه المصطلحات، الّتي عرفها الدّرس الصّوتي الحديث، لكن كانت لهم مصطلحاتهم الخاصّة بهم.
- ✓ لقد تفطّن "ابن جنّي" إلى المماثلة وعبّر عنها بمصطلح التّقريب وعالجها، فيما سمّاه بالإدغام الأصغر، وضرب لها العديد من الأمثلة، كما أنّه ضرب العديد من الأمثلة للمخالفة الّتي يكون الهدف منها التّخلّص من الأصوات المتماثلة، كالحذف دون تعويض أو الحذف مع التّعويض بغرض الخفّة.
- ✓ وقد تناول "ابن جنّي" كذلك قضيّة النّبر في باب مطل الحركات وإن لم يذكر ذلك باللّفظ، فقد وصفه وشرحه ومثّل له.
- ✓ كما أنّه كان على وعي بظاهرة التّنغيم في العربيّة ودورها في تحديد الدّلالة وإن لم يستعمل مصطلح التّنغيم، ولكنّه عبّر عنه بمصطلحات أخرى يراد بها التّنغيم، كما أدرك العلاقة الوطيدة بين النّبر والتّنغيم.

إنّ هذه الآراء والمباحث ما هي إلاّ غيض من فيض، مقارنة بما تزخر به كتبه من أمثلة تعدّ زبدة أفكار هذا العَالِم، الّذي لا تزال كثير من آرائه في حاجة إلى البحث والتّنقيب، خاصّة وأنّها تتقاطع مع ما توصّلت إليه الدّراسات اللّسانية الحديثة في عدّة جوانب.

الهوامش:

[1] ابن جنّي أبو الفتح عثمان الموصلي (ت392هـ)،(1421 هـ/2000م)،سر صناعة الإعراب ،تح: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر،دار الكتب العلميّة،بيروت،لبنان،ط1،مج 1،ص22.

[2] التّونجي محمّد والأسمر راجي،(1421هـ/2000م)،المعجم المفصّل في علوم اللّغة (اللّسانيات)،دار الكتب العلميّة،بيروت،لبنان، ط1،مج1،ص431.

[3] مدكور عاطف،(1987م)،علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة،دار الثّقافة،القاهرة،مصر،دط،ص101.

[4] عبد التّوّاب رمضان،(1997م)،التّطوّر اللّغوي مظاهره علله وقوانينه،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر،ط3،ص30.

[5] عمر أحمد مختار،(1985م)،دراسة الصّوت اللّغوي،عالم الكتب،القاهرة،بيروت،ط3، ،ص378.

[6] عبد التّوّاب رمضان،التّطوّر اللّغوي مظاهره علله وقوانينه،ص30.

[7] محمّد حسان فدوى،(1432هـ/2011م)،أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللّغويّة في القرآن الكريم،عالم الكتب،إربد،الأردن،ط1، ص68.

[8] ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (ت392هـ)،(1999م)،الخصائص،الهيئة المصرية العامّة للكتاب،مصر،ط4، ج3،ص143.

[9] المصدر نفسه، ج2،ص143.

[10] المصدر نفسه، ج2،ص143.

[11] المصدر نفسه، ج2،ص144.

[12] ابن جني ،سر صناعة الإعراب، ج1،ص197.

[13] ينظر:المصدر نفسه، ج1،ص223 ،وينظر كذلك الخصائص، ص144 .

[14] ابن جني ،الخصائص، ج2،ص146.

[15] أنيس إبراهيم،(1971م)، الأصوات اللّغويّة،مكتبة الأنجلو المصريّة،القاهرة،مصر،ط4،ص21.

[16] حسام الدّين كريم زكي،(1421هـ/2001م)،أصول تراثيّة في اللّسانيات الحديثة،دار الرّشاد للنّشر والتّوزيع،القاهرة،مصر،ط3، ص176.

[17] محمّد حسان فدوى،أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللّغويّة في القرآن الكريم،ص78إلى81.

[18] المرجع نفسه،ص77.

[19] للتّوسّع ينظر:فليح بن حمد أحمد سالم،(2003م)،أطروحة دكتوراه:المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدّراسات الصّوتية الحديثة، قسم اللّغة العربيّة،كلّية الآداب،جامعة اليرموك،العراق،2003م،ص208.

[20] ابن جنّي،سر صناعة الإعراب، ج1،ص385.

[21] ابن جنّي،(1420هـ/1999م)،المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،تح:علي النّجدي ناصف وآخرين، وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة،مصر، ج2،ص111.

[22] سورة ق،آ43.

[23] ابن جنّي،سر صناعة الإعراب، ج2،ص201.

(24) المصدر نفسه، ج2،ص369.

(25) المصدر نفسه، ج1،ص113.

(26) المصدر نفسه، ج2،ص773.

(27) المصدرنفسه، ج2،ص382،وينظر:الخصائص، ج2،ص92.

(28)ابن جنّي،سر صناعة الإعراب، ج2،ص92.

(29)ينظر:حسّان تمّام،(1979م)،مناهج البحث في اللّغة،دار الثّقافة،الدّار البيضاء،المغرب،ص16.

(30)المرجع نفسه،ص160.

(31)ينظر:عمر أحمد مختار،دراسة الصّوت اللّغوي،ص221.

(32)حسّان تمّام،مناهج البحث في اللّغة،ص160.

(33)بوروبة المهدي،(جوان2007م)،ظاهرة النّبر عند النّحاة واللّغويّين العرب القدامى،مجلّة المصطلح،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان، العدد5،ص45.

(34)ابن سينا أبو علي الحسين(ت427هـ)،(1983م)، رسالة أسباب حدوث الحروف،تح:محمّد حسّان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمّع اللّغة العربيّة،دمش،سوريا،ط1،ص72.

(35)عبد الجليل عبد القادر،(1998م)،الأصوات اللّغويّة،دار صفاء للنّشر والتّوزيع،عمّان،الأردن،ط1،ص239.

(36)ابن جنّي،الخصائص، ج3،ص123.

(37)المصدر نفسه، ج3،ص125.

(38)المصدر نفسه، ج3،ص132.

(39)عبد المجيد عبد القادر،الأصوات اللّغويّة،ص241.

(40)ابن جنّي،الخصائص، ج2،ص373.

(41)مجاهد عبد المجيد،(2010م)،علم اللّسان العربي،الشّركة العربيّة المتّحدة،القاهرة،مصر،دط،ص33و34.

(42)حسان تمّام،مناهج البحث في اللّغة،ص93.

(43)التّونجي محمّد والأسمر راجي،المعجم المفصّل في علوم اللّغة،مج1،ص207.

(44)ينظر:بشر كمال،(2000م)،علم الأصوات،دار غريب،القاهرة،مصر،دط،ص541.

(45)حسن تمّام،(1994م)،اللّغة العربيّة معناها ومبناها،دار الثّقافة،الدّار البيضاء،المغرب،ص71.

(*)بقيّة النّص في عنصر النّبر لم نود أن نكرّره.

(46)ابن جنّي،الخصائص، ج2،ص373.

(47)سورة المائدة،آ116.

(48)سورة يونس،آ59.

(49)سورة الأعراف،آ172.

(50)ابن جنّي،الخصائص، ج3،ص272.

[51]بن دومى خالد قاسم،(2006م)،دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،ط1.

[52]البستاني بطرس،(1993م)محيط المحيط،مادّة(ط و ح)،مطابع تيبر،بيروت،لبنان،ص559.

[53]حسان تمّام،مناهج البحث في اللّغة،ص90.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1 -أنيس إبراهيم،(1971م)،الأصوات اللّغويّة،مكتبة الأنجلو المصريّة،القاهرة،مصر،ط4.

2 -ابن جنّي أبو الفتح عثمان الموصلي (ت392هـ)،(1421 هـ/2000م)،سرّ صناعة الإعراب،تح: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر ،دار الكتب العلميّة،بيروت،لبنان،ط1،مج1.

3 -ابن جنّي أبو الفتح عثمان الموصلي (ت392هـ)،(1999م)،الخصائص،الهيئة المصرية العامّة للكتاب،مصر،ط4،ج3.

4 - ابن جنّي،(1420هـ/1999م)،المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،تح:علي النّجدي ناصف وآخرين، وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة،مصر،ج2.

5 -ابن سينا أبو علي الحسين،(1983م)،رسالة أسباب حدوث الحروف،تح:محمّد حسّان الطيان ويحي مير علم،مطبوعات مجمّع اللّغة العربيّة،دمشق،سوريا،ط1.

6 -البستاني بطرس،(1993م)، محيط المحيط،مادّة(ط و ح)،مطابع تيبر،بيروت،لبنان.

7 -بشر كمال،(2000م)،علم الأصوات،دار غريب،القاهرة،مصر،دط.

8 -بن دومى خالد قاسم،(2006م)،دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،ط1.

9 -التّونجي محمّد والأسمر راجي،(1421هـ/2001م)،المعجم المفصّل في علوم اللّغة (اللّسانيات)،دار الكتب العلميّة،بيروت،لبنان، ط1،مج1.

10 - حسام الدّين كريم زكي،(1421هـ/2001م)،أصول تراثيّة في اللّسانيات الحديثة،دار الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع،القاهرة، مصر،ط3.

11 - حسّان تمّام،(1979م)،مناهج البحث في اللّغة،دار الثّقافة،الدّار البيضاء،المغرب.

12 - عبد التّوّاب رمضان،(1997م)،التّطوّر اللّغوي مظاهره علله وقوانينه،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر،ط3.

13 - عبد الجليل عبد القادر،(1998م)،الأصوات اللّغويّة،دار صفاء للنّشر والتّوزيع،عمّان،الأردن،ط1.

14 - عمر أحمد مختار،(1985م)،دراسة الصّوت اللّغوي،عالم الكتب،القاهرة،بيروت،ط3.

15 - مدكور عاطف،(1987م)،علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة،دار الثّقافة،القاهرة،مصر،دط.

16 - محمّد حسان فدوى،(1432هـ/2011م)،أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللّغويّة في القرآن الكريم،عالم الكتب،إربد،الأردن،ط 1.

17 - مجاهد عبد المجيد،(2010م)،علم اللّسان العربي،الشّركة العربيّة المتّحدة،القاهرة،مصر،دط.

الأطروحات:

1 -فليح بن حمد أحمد سالم،(2003م)،أطروحة دكتوراه:"المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدّراسات الصّوتية الحديثة"،قسم اللّغة العربيّة،كلّية الآداب،جامعة اليرموك،العراق.

المقالات:

1 -بوروبة المهدي،(جوان2007م)،ظاهرة التّبر عند النّحاة واللّغويّين العرب القدامى،مجلّة المصطلح،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان، العدد5،ص45.